الدور البارز للمرأة في النظام الإسلامي الإيراني

■ منى كمال

منذ انطلاق الإمام الخميني الراحل في نشاطه السياسي ضد النظام الملكي البائد، وهو يصرّ على ضرورة مشاركة المرأة الإيرانية المسلمة في مقاومة النظام الشاهنشاهي المقبور، من خلال الفعاليات المختلفة، ففي حديث له مع مجموعة من النساء الإيرانيات عام ١٩٧٩م، قال: الإسلام ينظر إلى المرأة، نظرة خاصة، فقد رفع من شأنهان وساواها مع الرجل، ولكن الإسلام وضع أحكاماً خاصة بالرجال، وأخرى بالنساء، إنّ العناية التي يوليها الإسلام للمرأة هي أكثر من تلك التي يوليها للرجل.

وبالرغم من مرور أربعة وأربعين على انتصار الثورة الإسلامية المظفرة، على يد الإمام الخميني الراحل، فلا يزال الشعب الإيراني المسلم يعيش نتائجها الباهرة، كشعب مستقل، وبالأخص المرأة الإيرانية المسلمة.

ففي حديث للإمام الخميني الراحل مع نساء إيرانيات عام ١٩٧٩م، قال بكل اطمئنان: الإسلام ينظر إلى المرأة نظرة خاصة، فقد رفع من شأنها، وساواها مع الرجل، ولكن الإسلام وضع أحكاماً خاصة بالرجال وأخرى بالنساء، إنّ العناية التي يوليها الإسلام للمرأة، هي أكثر من تلك التي يوليها للرجل.

فالإمام الخميني قام باسترداد مكانة المرأة في المجتمع والأسرة والتعليم وغيره، وهي المكانة التي كان قد منحها إيّاها الإسلام من قبل، والحال يُنبئ بأنّ النساء الإيرانيات أنفسهن كُنّ ممن تظاهرن ضد النظام البائد للدفاع عن أهدافهن، من قبيل الحجاب، وهويتهن كنساء مسلمات، فهنّ اللاتي تعرّضن للقهر والظلم عبر مراحل الحياة المختلفة في تلك الحُقبة، وذلك عبْر منعهم إيّاها من ارتداء الحجاب، وممارسة حرّيتها، فذلك كان أنموذجاً من جهاد النساء الإيرانيات، وهو جهاد من أجل إثبات الذات، والدفاع عن مكانة الحجاب.

وعن أهمية المرأة بالمجتمع، يقول الإمام الخميني: إن النساء الإيرانيات، وقياساً بالرجال في هذه النهضة الثورة، كنّ المبادرات أولاً، ولذا على هذا الأساس، نشاهد إن الثورة الإسلامية تهيئ بيئة مناسبة، وتولي أهمية كبيرة للمرأة عن طريق إحقاق حقوقها الدينية، والثورة الإسلامية أعادت إلى المرأة المسلمة، القوة والثقة بدورها الريادي، فالمرأة ((معلّمة المجتمع))، والنساء إذا ربّين أبناءهن على أسس مبنية على أوامر الإسلام وأصوله، قمن برعاية أزواجهن، وتقوية الأواصر الأسرية، من هذا المنطلق، يحافظن على الروح الإسلامية للعائلة، بعيداً عن تأثير الثقافة الغربية، فمعظم منجزات الثورة تحقّقت بفضل مؤازرة النساء للرجال، ومن أجل الوصول إلى الهدف النهائي، وما نحن اليوم نُجني ثمرة جهادهن عبر الظهور المتجدد للإسلام، وقوة المجتمع المتنامية، وإحقاق حقّ المرأة بين شرائح المجتمع المختلفة.

ومن أقوال الإمام الراحل في الدفاع عن النساء المسلمات، نصيحته لهنّ عام ١٩٩٨م: أنتن أيها النساء تحملن رسالة إلى العالم، إن وجودكن من الممكن أن يُشار إليه على أنه نموذج لرسالة الإسلام إلى العالم.

فلقد ساهمت المرأة الإيرانية المسلمة، مساهمة فعّالة في الحركة العِلْمية في الجمهورية الإسلامية في إيران، حيث برزت نساء عالمات، وأديبات، وشاعرات، وفي مجالات العمل الخيري، والكتابة والدعوة والتعليم، ودور العِلْم، وغيرها.

هذا وقد اهتم الإسلام بالمرأة أيّما اهتمام، إلى الحدّ الذي أنزلت سورة طويلة بإسم ((النساء)) في القرآن الكريم، وهذا يدلّ على أهمية العنصر النسائي في المجتمع الإنساني، وفي هذا السياق، يقول الامام الخامنئي: لو جرّدوا الأمم من النساء الشجاعات والمربّيات للإنسان، فسوف تنهزم هذه الأمم وتؤول إلى الانحطاط.

ومن أقوال الإمام الخميني في هذا الشأن: المرأة مظهر تحقّق آمال البشرية، وهي مربّية النساء والرجال الأفاضل، ومن حضن المرأة يسمو الرجل في عروجه، فهو مهْد تربية نساء ورجال عظام (١).

ومن أحاديث الإمام الراحل أيضاً بحقّ النساء: تُربّي النساء في أحضانهن الرجال الشجعان، إنّ القرآن الكريم يُربّي الإنسان، والمرأة أيضاً تُربّي الإنسان (٢).

ففي السؤال الذي طُرِح على الإمام الخميني (قد)، خلال خلال لقاء عام ١٩٧٨م، والذي مفادّه: تُشكِّل النساء نسبة عظيمة من نفوس المسلمين، ما هو الدور الذي ترونه للمرأة في النظام الإسلامي؟ فأجاب:

في الوقت الحاضر، تشارك المرأة الإيرانية المسلمة في النضال السياسي وفي المظاهرات، وقد علمت بأنّ النساء في المدن الأيرانية، يعقدن التجمّعات السياسية. إنّ المرأة في النظام الإسلامي، تتمتّع بالحقوق ذاتها التي يتمتّع بها الرجل، بما في ذلك حقّ التعليم والعمل والتملّك والانتخاب والترشيح، وفي مختلف المجالات التي يمارس الرجل دوره فيها، بيْد أن هناك أموراً تُعدّ مزاولتها من قِبل الرجل حراماً لأنّها تقوده إلى المفاسد وأخرى يحظر على المرأة مزاولتها لأنها توجد مفسدة (٣).

ومن أقوال الإمام الخميني (قد) في هذا النطاق: نحن نفخر بأنّ النساء بمختلف الأعمار، متواجدات في الساحات الثقافية والاقتصادية، ويبذلن جُهداً جنباً إلى جنْب مع الرجال، أو متقدّمات عليهم، على طريق اعتلاء الإسلام وأهداف القرآن الكريم (٤).

و من تجلّيات التجربة الإسلامية في إيران، والتي برهنت على إمكانية النهوض بواقع المرأة، بحيث أُتيحت لها مجالات المشاركة في قضايا الشأن العام على نطاقات واسعة، ولن تعُد هناك أي عراقيل في طريق تقدّمها وارتقائها، فالمرأة الإيرانية شاركت بالنهضة في بلادها في النشاطات الاجتماعية والاقتصادية منذ العام ١٩٧٩م، إبّان الثورة، وما زالت حتى الآن، فهي نزلت إلى الساحات بقوّة، وكان لها ما أرادت، والشاهد على ذلك، خطاب الإمام الراحل، حيث قال: فالنساء المتلقِّيات تربية إسلامية، نزلن إلى الشوارع، وحملن أرواحهنّ على الأكف، وقدن النهضة إلى ا لنصر .

ويصرّح الإمام الراحل في إحدى المناسبات، قائلاً: ينبغي للمرأة أن تتحلّى بمثل هذه الشجاعة، وبحمد الله إنّ نساء عصرنا يتشبّهن بهذه المرأة، إذ وقفن في وجه الطاغية شاهرات قبضاتهنّ الحديدية، والأطفال على صدورهنّ، وساهمن بالنهضة (٤)، فأنتم اليوم لا تجدون مدينة أو قرية، تخلو من الجمعيات الثقافية والتعليمية التي تضمّ بين صفوفها النساء الملتزمات، والمسلمات المكرّمات، وإنّ النهضة الإسلامية هي التي أوجدت ببركة الإسلام، مثل هذا التحوّل في نفوس أبناء المجتمع، من الرجال والنساء بنحو قطعت طريق مئة عام في ليلة واحدة، وكيف كانت نساء إيران المحترمات يتسابقن مع الرجال في النزول إلى الميدان (٥).

وقد أخذت هذه الحالة الإسلامية للمرأة في إيران، تلفت الأنظار إليها بإعجاب، نتيجة المستوى الذي وصلت إليه من حيث الحضور الفاعلية والمشاركة العامة والواسعة، فالمرأة في إيران، لها تمثيل مستمر في مجلس الشورى، ووصلت إلى هيئته الرئاسية في دورة انتخابات سنة ٢٠٠٠م، وتبوأت منصب نائب الرئيس إلى عدد من اللجان البرلمانية، كاللجنة الثقافية، ولجنة الصحة، والعلاج الطبّي، وشغلت منصب مساعد رئيس الجمهورية لشؤون المرأة، وتوجد في مؤسسة تشخيص مصلحة النظام التي تنظر في السياسات العامة، لجنة خاصّة للنساء، كما توجد في كل الوزارات، مستشارة خاصة لشؤون المرأة، وهناك يوم للمرأة يُقام سنوياً، وهذا كلّه توصّلت إليه بفضل الثورة الإسلامية التي فجّرها الإمام الخميني الراحل، والتي تُمثِّل أهم وأعظم مصداق للنهضة الإسلامية في هذا الزمن.

(١)مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني – مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ص٧٧ .
(٢)المصدر نفسه ص٧٨ .
(٣)المصدر نفسه ص٧٨.
(٤)الوصية السياسية الإلهية ٥ – ٦ – ١٩٨٩م.
(٥)من كلمة الإمام الخميني بمناسبة يوم المرأة بتأريخ٥ – ٥ – ١٩٨٠م.

الإمام الخميني: إن النساء الإيرانيات، وقياساً بالرجال في هذه النهضة الثورة، كنّ المبادرات أولاً، ولذا على هذا الأساس، نشاهد إن الثورة الإسلامية تهيئ بيئة مناسبة، وتولي أهمية كبيرة للمرأة عن طريق إحقاق حقوقها الدينية، والثورة الإسلامية أعادت إلى المرأة المسلمة، القوة والثقة بدورها الريادي.